

٨ - معركة الدفرزوار : الثغرة

واستمر القتال عنيفا يوم ١٥ أكتوبر امتداداً لقتال اليوم السابق . وقد كان عدم نجاح تطوير الهجوم فى اتجاه المضايق فرصة مناسبة أمام القوات الإسرائيلية للقيام بهجوم مضاد قوى ضد قواتنا فى قطاع الجيش الثانى . وخلال نفس اليوم قامت طائرة استطلاع أمريكية باستطلاع منطقة القناة للمرة الثانية (المرة الأولى كانت يوم ١٣) ، ومن الطبيعى أن تكون نتائج هذا الاستطلاع قد وصلت إلى إسرائيل . ونشطت القوات البرية الإسرائيلية للقيام بأعمال – الاستطلاع بقوة – عن طريق هجمات محدودة القوة أمام مواجهة الجيش الثانى ، مع التركيز على الجنب الأيمن للجيش فى منطقة الدفرزوار شرق القناة .

ودارت معركة الدفرزوار التى أطلق عليها فى مصر والوطن العربى إسم (الثغرة) .

قصة الثغرة :

اخترت العنوان « قصة الثغرة » ، لأن وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية ركزت على عبور بعض القوات الإسرائيلية إلى غرب القناة فى منطقة الدفرزوار جنوب الإسماعيلية لابراز نجاح إسرائيل فى هذه المعركة ، حتى أصبحت قصة ، وكأنها المعركة الوحيدة التى دارت خلال الحرب .

وكل قصة لا بد أن يكون لها بطل ، واختاروا الجنرال شارون ليكون بطل القصة ، تمشياً مع عادة إسرائيل التى لا بد أن تصنع بطلاً لكل حرب خاضتها ضد العرب .

لقد صنعوا من الجنرال ديان بطلاً لحرب يونيو ١٩٦٧ ، وهو الذى تولى منصب زير الدفاع قبل الحرب بأيام ثلاثة ، ووجد الخطة موضوعة والقوات جاهزة لتنفيذها - إلا أنه أخذ يطلق التصريحات السياسية بعد الحرب التى أسعد بها شعب إسرائيل وأهان بها العرب ، وأبرز أن الجيش الإسرائيلى أصبح أسطورة . وديان نفسه أصبح في عام ١٩٧٣ رمز الهزيمة الإسرائيلية .

وصنعوا من الحنرال بارليف بطلاً ، لأنه أنشأ خطاً دفاعياً حصيناً على الضفة الشرقية للقناه ، تحول فى نظر الإسرائيليين وغيرهم إلى خط غير قابل للاختراق ، ودرع يحقق لهم الأمن . وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ سقط الخط فى أيدى القوات المصرية .

وجاء الدور على الجنرال شارون ليعطى من التصريحات السياسية لوسائل الاعلام ما يجعله فى نظر الإسرائيليين بطل إسرائيل فى حرب أكتوبر . وكانت فرصة أمام وسائل الاعلام لتضخيم معركة الدفرزوار بعد سلسلة المعارك التى هزمت فيها إسرائيل فى هذه الحرب .

وتساءل الكثيرون فى مصر والدول العربية ، لماذا حدثت الثغرة ، وكيف حدثت ؟

إن من حقهم أن يطرحوا هذا السؤال ، بعد النجاح الذى حققته قواتنا المسلحة فى سلسلة المعارك فى هذه الحرب ، اشتملت فى يوم واحد على إنشاء خمسة رءوس كبارى بواسطة خمس فرق مشاة فى خمس معارك بالاضافة للمعارك الجوية والبحرية ومعارك الدفاع الجوى الناجحة . وكانوا يرغبون - ونحن معهم - فى عدم تمكين إسرائيل من عمل هذه الثغرة .

وازداد شعور المواطنين فى مصر والدول العربية حساسية ، عندما كانوا يستمعون إلى الإذاعات الأجنبية ومايكتب فى الصحف بالخارج نقلاً عن إسرائيل ، فيجدون تعتيماً هنا عما يدور فى أرض المعركة وإبرازاً وتضخيماً لما ينشر ويذاع هناك .

لقد كان من الواجب علينا فى مصر أن نعالج موضوع الثغرة شرحاً وتوضيحاً لها بطريقة موضوعية عن طريق وسائل الاعلام المصرية أثناء القتال وبعد الحرب مباشرة ، ولكننا لم نفعل ، الأمر الذى أدى إلى زيادة اهتمام المواطنين بهذه المعركة ، وكأن فى الأمر شيئاً غير مطلوب الافصاح عنه .

وبدلاً من ذلك ، أدلى الرئيس الراحل السادات بتصريحات عن الثغرة ، أعطت

الانطباع بأن الفريق سعد الدين الشاذلى لم يبذل الجهد الكافى أثناء وجوده فى جبهة القناة خلال فترة الثغرة ، فازداد الرأى العام اهتماماً بالموضوع .

لماذا حدثت الثغرة (معركة الدفرزوار) ؟

لقد كانت قواتنا تقاتل فى سيناء بعمق ١٢ - ١٥ كيلومتراً بعد أن حققت العبور التاريخى والاقتحام المدبَّر لقناة السويس ، وسقط خط بارليف المنيع ، وفشلت القوات الإسرائيلية فى كل محاولاتها لصد أو تدمير قواتنا التى عبرت . وطالت مدة الحرب دون أن يكون هناك أمل فى إنهائها بعد أن ثبت لها أن استراتيجيتها العسكرية المبنية على الحرب الخاطفة التى تستغرق عدة أيام قد فشلت . وازدادت خسائرها فى الأفراد يوماً بعد يوم . كل ذلك وضع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية وقادتها فى وضع مهين أمام شعبهم بعد أن كانوا النجوم اللامعة فى مجتمعهم منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

ونتيجة لأحداث القتال عبَّر رئيس دولة إسرائيل عن الحالة الداخلية فى الدولة ، فى لقائه مع القادة العسكريين فى غرفة العمليات بقوله : « عليكم أن تدفعوا ثمن غروركم ، ولا أعرف كيف ستواجهون شعب إسرائيل بعد ما حدث » . وعبَّرت عن هذه الحالة جولدا مائير فى حديث تليفونى مع الرئيس الأمريكى نكسون تطلب فيه أسلحة ومعدات عسكرية لانقاذ إسرائيل ، وقالت له : « لا أعرف كيف سأواجه عائلات القتلى الكثيرين فى الحرب » . لذلك كانت القيادة العسكرية تستميت للقيام بعمل عسكرى يعيد الثقة للجيش الإسرائيلى بنفسه ، وثقة الشعب الإسرائيلى به بعد أن تغنى بانتصاراته فى الحروب السابقة ، هذه الثقة التى فقدها نتيجة للهزائم المتتالية التى لحقت به والخسائر الضخمة التى تحملها فى هذه الحرب .

ولقد فقدت القيادة السياسية فى إسرائيل توازنها عندما ثبت لها أن نظرياتها السياسية واستراتيجيتها العسكرية قد انهارت . فالأرض العربية التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ لم تحقق لها الأمن ، كما أن تفوقها العسكرى على الدول العربية لم يحقق لها فرض الأمر الواقع بالقوة . ولذلك كان عليها أن تبذل كل جهد ممكن لاستعادة الصورة التى رسمتها لنفسها عن طريق القيام بمغامرة عسكرية قبل إيقاف القتال بموافقة القوتين العظميين ، وهو ما يغطى ويؤمّن نتيجة هذه المغامرة .

ومن وجهة نظر السياسة الأمريكية ، كان يهم أمريكا أن تحقق إسرائيل نجاحا في معركة من المعارك قبل وقف إطلاق النار ، لأن استكمال هزيمتها فى جبهة القناة يعنى هزيمة سياسية لأمريكا فى الشرق الأوسط إذا حسم السلاح السوفيتي - حسب رأى أمريكا - نتيجة هذه الحرب . كما أن نجاح إسرائيل في إحدى المعارك قبل توقف القتال يعطى لأمريكا ورقة للمساومة بها سياسيا فى المفاوضات السياسية التى تعقب الحرب .

وشجع إسرائيل على القيام بتلك المغامرة العسكرية - معركة الدفرزوار - تلك المعاونات العسكرية التى قدمتها لها أمريكا منذ يوم ٦ أكتوبر بناء على تقييم للموقف العسكرى بواسطة خبراء البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) فى نفس اليوم ومساهمة فى التخطيط العسكرى يوم ٨ أكتوبر ، وأسلحة أمريكية عاجلة نقلتها طائرات شركة العال حتى يوم ١٢ ، واستطلاع جوى أمريكى لصالحها يومى ١٣ ، ١٥ أكتوبر ، وجسر جوى أمريكى بطائرات نقل عسكرية ينقل لإسرائيل احتياجاتها من الدبابات والطائرات والأسلحة والمعدات الفنية بدأ يوم ١٤ ليستمر حتى نهاية الحرب . لكل ذلك كان لا بد لإسرائيل أن تثبت لأمريكا قدرتها على العمل العسكرى بعد كل هذه المساعدات ، حتى لا تفقد دورها فى خدمة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط .

كيف حدثت الثغرة (معركة الدفرزوار) ؟!

كان القتال يدور بشدة في جبهة القناة (قطاع الجيش الثانى) يوم ١٥ أكتوبر امتداداً لقتال اليوم السابق . ركّز العدو - على ضوء معلوماته ونتائج الاستطلاع الجوى الأمريكى - مجهوده الرئيسى فى ذلك اليوم - ١٥ أكتوبر - بقواته المدرعة والقصف الجوى الكثيف ونيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات ، للقيام بهجوم ضد قوات الجنب الأيمن للجيش الثانى (منطقة الدفرزوار شرق القناة) بعرض طى الجنب الأيمن للجيش من الجنوب إلى الشمال ، وعمل اختراق تصل فيه بعض قواته المدرعة إلى الضفة الشرقة للقناة .

كان للعدو فرقتان مدرعتان تعملان فى ميدان المعركة الرئيسى شرق الدفرزوار ، بينما كان له قوات أخرى تعمل على باقى مواجهة الجيش الثانى ومواجهة الجيش الثالث . كانت الفرقتان المدرعتان بقيادة كل من الجنرال شارون والجنرال آدان ،

وتتكون كل فرقة من ثلاثة لواءات دبابات (حوالى ٣٥٠ دبابة فى الفرقة الواحدة) ولواء مظلى محمل على عربات مجنزرة أو مشاة ميكانيكية والأسلحة المعاونة .

وكانت الفرقتان - وهما قوات المجهود الرئيسى للعدو - تواجهان الفرقة ١٦ مشاة يدعمها لواء مدرع ويقودها العميد عبد رب النبى حافظ - الجنب الأيمن للجيش - وكذا الفرقة ٢١ مدرعة التى يقودها العميد إبراهيم العرابى وهى الفرقة التى دخلت معركة الدبابات فى اليوم السابق ، واستمرت فى القتال حتى اليوم - ١٥ أكتوبر - بعد أن تكبدت من الخسائر عدداً كبيراً من دباباتها .

كانت فرقة شارون تقوم بالهجوم على الجنب الأيمن للجيش الثانى . وأفصح ديان - بعد الحرب فى مذكراته - « أن هذه الفرقة كانت مكلفة بعمل « رأس كوبرى » فى منطقة الدفرزوار . وفى سبيل تنفيذ ذلك ، كان عليها تأمين ممر صحراوى عرضه ميلان ونصف جنوب الدفرزوار وشمال البحيرات المرة شرق القناة ، والاستيلاء على قطعة أرض شرق القناة أيضاً تعرف باسم « المزرعه الصينية » ، وبالتالى يمكن عمل قاعدة شرق القناة لإقامة معبر وإنشاء رأس كوبرى ، حيث تعبر من خلاله فرقة آدان إلى الضفة الغربية » .

المحاولة الأولى لإنشاء المعبر :

قوبل هجوم فرقة شارون بقتال عنيد وعنيف من فرقة عبد رب النبى الأمر الذى جعل تقدم العدو محدوداً وبطيئاً برغم أن العدو تمكن من عمل اختراق فى مواقع الجنب الأيمن للفرقة . وتحت ستار هذا القتال الشديد والمستمر تسللت قوة من لواء مظلات إسرائيلى ليلاً إلى الشاطى الشرقى للقناة ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ، ومنها عبرت فى قوارب إلى الشاطى الغربى للقناة فى منطقة الدفرزوار . ولحقت بها سرية دبابات - حوالى ٧ - ١٠ دبابات - واختفت قوة المظلات وقوة الدبابات فى منطقة الأشجار الكثيفة العالية فى هذه المنطقة لتأمين إنشاء « المعبر » كما كان مقدراً .

وعلى نفس الممر الصحراوى كان مخططاً أن تتحرك كتيبة دبابات ومعها معدات المعبر . ولكن القتال لم يهدأ من قوات الجنب الأيمن للجيش بمعاونة مدفعية الجيش ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ، وتمكنت من إغلاق الممر الصحراوى بالنيران والقوات فى قتال

مستمر حتى صباح يوم ١٦ ، وبالتالى لم تتمكن معدات المعبر الإسرائيلى من الوصول إلى الساحل الشرقى للقناة .

ولا بد من التنويه هنا بأن تقدير اللواء تيسير العقاد قائد الجيش الثانى بالنيابة عن عبور عدد محدود من الدبابات الإسرائيلية خلال تلك الليلة كان أقل من العدد الذى تسرب إلى الغرب ، وهو ما اتضح لنا عندما وصلنا فى مركز عمليات القوات المسلحة أول بلاغ عن ذلك صباح يوم ١٦ . وكان البلاغ أن العدد ٧ - ١٠ دبابات معادية ، ولكن الحقيقة أن العدد الذى اشترك فى قتال صباح يوم ١٦ فى غرب القناة كان حوالى ٣٠ دبابة (كتيبة دبابات) . ولذلك فإن البيان العسكرى الذى صدر عن إذاعة القاهرة عن هذا التسلل كان بناء على التبليغ الذى وصلنا من قيادة الجيش الثانى ، ولم يكن مقصوداً أبداً تقليل العدد عن عمد ، ولكنه جاء نتيجة لعدم الحصول على المعلومات الصحيحة الدقيقة عن قوة العدو . ومن هنا تظهر أهمية الحصول على المعلومات ودقتها وتحليلها أثناء القتال لصالح العمل العسكرى أولاً ثم العمل السياسى والإعلامى ثانياً .

ونتيجة لقتال قوات الجيش الثانى الذى ترتب عليه منع مرور معدات المعبر الإسرائيلى فى اتجاه القناة ، أصبحت المفرزة الإسرائيلية التى عبرت إلى الدفرزوار غرب القناة معزولة ، كما أن معركة العبور لا يمكن أن تتم وكتب عليها الفشل .

وعن هذا الموقف الخطير كتب ديان فى مذكراته يقول :

« فى الساعة السادسة والربع صباحاً - يوم ١٦ أكتوبر - اتصلت برئيسة الوزراء تليفونيا ، وأبلغتها بالأخبار السيئة : لم نتمكن من إقامة الجسور . الطريق أغلقته الوحدات المصرية التى تحتل القطاع الشمالى للضفة الشرقية ، والتى تقدمت جنوباً ووصلت إلى الطريق ، ودقت إسفينا يعزل رأس الجسر الذى أقمناه . وإننا نأمل فى صدهم ونقل الجسور إلى الماء وتركيبها أثناء النهار ...

... كانت رئيسة الوزراء تشعر بخوف شديد من قيام المصريين بعزل قوات الطليعة ، وحدث جدل كبير فى اجتماعات الوزارة حول هذا الخطر » .

وهكذا فشلت المحاولة الأولى التى قام بها شارون لإنشاء معبر خلال ليلة ١٦/١٥ حتى صباح يوم ١٦ أكتوبر ، نتيجة للمقاومة الشديدة من قوات الفرقة ١٦ مشاة التى

كانت تخوض المعركة ضد شارون وتخوض معركة أخرى فى نفس الوقت فى « المزرعة الصينية » .

معركة المزرعة الصينية :

لقد مرت ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ، وكانت من أشد الليالى قسوة على نفسى للخسائر التى تتكبدها الفرقة ١٦ مشاة ، وفى نفس الوقت كنت أزداد احتراماً وتقديراً لهذه الفرقة ومقاتليها الذين ضحوا بأرواحهم بشجاعة وإصرار فى مواجهة العدو .

ومنذ صباح يوم ١٦ تصاعد القتال واشتعل فى ميدان المعركة الرئيسى شرق الدفرزوار فى سيناء ، وفى معركة « المزرعة الصينية » ، وهى مزرعة للتجارب أقامتها وزارة الزراعة منذ زمن طويل شمال شرق الدفرزوار .

كانت القيادة الإسرائيلية قد اضطرت إلى إقحام فرقة مدرعة جديدة — فرقة آدان — فى المعركة لفتح ممر شمال البحيرات المرة خلف قوات فرقة شارون ، حتى يمكن توصيل معدات المعبر إلى الضفة الشرقية للقناة بعد أن فشل شارون فى تنفيذ هذه المهمة .

اشتبكت فرقة عبد رب النبى مع فرقة آدان حيث دارت معركة المزرعة الصينية ، وهى من أشد المعارك ضراوة التى تمت خلال فترة فتح الثغرة ، تكبدت فيها قوات الطرفين خسائر كبيرة فى الأرواح والمعدات ، إلا أن فرقة عبد رب النبى تمكنت من منع فرقة آدان من التقدم فى اتجاه القناة لفتح الممر . واضطرت القيادة الإسرائيلية إلى نقل لواء مظلات من جنوب سيناء بالطائرات للاشتراك فى معركة المزرعة الصينية لحسمها لصالحهم . كانت النتيجة خسائر فادحة لحقت بها الأمر الذى أرغم الدبابات الإسرائيلية على التدخل لتخليص جنود المظلات .

ويقول ديان فى وصف هذه المعركة :

« خاضت فرقة آدان معركة فى المزرعة الصينية . وكانت الوحدات المصرية صامدة تماماً ، وتطلق نيراناً قوية ودقيقة مضادة للدبابات على أية مدرعة إسرائيلية تحاول الاقتراب منها ، وأخذ عدد الدبابات المصابة فى الازدياد . وعندما اقترب المساء ، أبلغ قائدا اللواءين (.... ، ...) الجنرال آدان أن قواتهما غير قادرة على زحزحة المصريين أو

طردهم ، وأنها لن تستطيع فتح الطريق (الطريق المطلوب فتحه لتوصيل معدات المعبر إلى القناة) .

تقرر بعد ذلك الهجوم على المزرعة الصيسية ليلا بقوة من المشاة ، وأن ينقل لواء مظلات بطريق الجو من جنوب سيناء لتنفيذ هذه المهمة ... سمعت من القيادة الجنوبية أن قوات المظلات تكبدت خسائر فادحة فى أصعب العمليات وأكثرها دموية أثناء الليل ... وتم تخليص قوات المظلات فى الصباح من المزرعة الصينية بمساعدة المدرعات » .

ويستكمل ديان وصف هذه المعركة عندما توجه – بعد انتهاء القتال – لإلقاء نظرة على المزرعة الصينة ، قال :

« لم أستطع إخفاء مشاعرى عند مشاهدتى لها . فقد كانت مئات من العربات العسكرية المهشمة والمحترقة متناثرة فى الحقول ، كما كانت هناك دبابات إسرائيلية ومصرية لا يبعد بعضها عن بعض سوى بضع ياردات ... لم أشاهد على الإطلاق مثل ذلك المنظر لا على الطبيعة ولا فى اللوحات ولا فى أفظع مناظر الأفلام التى تناولت موضوع الحرب . لقد كان أمامنا ميدان شاسع لمذبحة يمتد إلى كل مكان يستطيع النظر أن يصل إليه . كانت الدبابات وناقلات الجنود المدرعة وعربات النقل المعطلة والمقلوبة والمحترقة دليلاً مروعاً على المعركة الرهيبة التى دارت هنا » .

لقد جذبت هذه المعركة إهتمام قيادة الجيش الثانى ، بينما كان القتال دائراً على الجنب الأيمن للجيش فى قطاع الفرقة ١٦ مشاة . وخلال ذلك تمكن الجنرال آدان من تحريك الأطواف العائمة ووصلت إلى خط المياه حيث أقيم المعبر يوم ١٧ .

القتال غرب القناة :

وفى صباح يوم ١٦ أيضاً ، كان الفريق أول أحمد إسماعيل قد رافق الرئيس السادات إلى مجلس الشعب ، الذى أعلن فيه الرئيس الراحل رأى مصر لحل مشكلة الشرق الأوسط .

كان فى مركز عمليات القوات المسلحة الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان وأنا ، عندما وصلنا أول بلاغ من قيادة الجيش الثانى عن ظهور حوالى سبع دبابات

إسرائيلية فى منطقة الدفرزوار غرب القناة . وكان بلاغاً مزعجاً لنا . كيف تم ذلك ؟ ومتى ؟

وبالاتصال السريع مع اللواء تيسير العقاد قائد الجيش الثانى بالنيابة ومناقشته فى هذا الموضوع ، كان فى تقدير اللواء العقاد أن هذا العدد الصغير من الدبابات المعادية قد تسرب إلى الغرب ، تحت ضغط القتال الدائر فى شرق القناة على الجنب الأيمن للجيش . وكان فى تقديره أيضاً أن القضاء على هذه الدبابات سيتم بسرعة . وقد ثبت فيما بعد أن العدو كان لديه فى غرب القناة بمنطقة الدفرزوار فى ذلك الوقت حوالى ثلاثين دبابة (كتيبة دبابات) وحوالى كتيبة من جنود المظلات تم عبورها خلال الليل . ومن هنا بدأ الخطأ فى تقدير الموقف على ضوء معلومات غير دقيقة عن حجم القوة المعادية .

لم يكن الأمر سهلاً أمامنا فى القيادة العامة ، ونظراً لخطورته تقرر رفع درجة استعداد اللواء ٢٣ مدرع الموجود فى شرق القاهرة ضمن احتياطى القيادة العامة ، وإنذاره بالتحرك إلى الجبهة فى قطاع الجيش الثانى لمعاونة الجيش فى القضاء على القوة الإسرائيلية المتسللة .

عاد الفريق أول أحمد إسماعيل من مجلس الشعب ليجد أمامه الموقف كما سبق تصويره . وافق على إجراءات استعداد اللواء ٢٣ مدرع ، كما قرر تعيين اللواء عبد المنعم خليل – من القاهرة – قائداً للجيش الثانى حتى يتفرغ اللواء تيسير لعمله رئيساً للأركان . وقد تم اختيار اللواء عبد المنعم خليل لأنه كان قائداً لنفس الجيش فى وقت سابق قبل الحرب .

وبينما كانت الاتصالات بين القيادة العامة وقيادة الجيش الثانى مستمرة لمعرفة الموقف بدقة أولاً بأول فى شرق وغرب الدفرزوار ، بعد أن تمكن العدو من دفع الجنب الأيمن للجيش لمسافة ٢ – ٣ كيلومترات شمالاً ووصول بعض قواته إلى غرب القناة ، استدعيت اللواء عبد المنعم خليل إلى مركز العمليات وقمت بتلقينه بالموقف بحضور نائب رئيس هيئة العمليات . تضمن التلقين أن العدو تمكن من عمل اختراق فى مواقع قوات الجنب الأيمن للجيش ، وتسربت بعض الدبابات ليلة ١٥/١٦ أكتوبر فى حدود سبع دبابات أو أكثر إلى منطقة الدفرزوار غرب القناة ، وأن الموقف يعتبر خطيراً فى هذه المنطقة . وشرحت له أن أحد اللواءات المشاة الميكانيكية من الفرقة

٢٣ ميكانيكية المتمركزة فى غرب القناة فى احتياطى الجيش قد تم دفعه لمواجهة قوة العدو – غرب الدفرزوار – وحدث اشتباك مع العدو قبل الظهر ، إلا أن الموقف غير واضح فى قطاع الاختراق .

وخلال هذا اليوم – ١٦ أكتوبر – بدأت البلاغات تصلنا بأن عدداً من كتائب صواريخ الدفاع الجوى قد هاجمتها دبابات العدو . وكانت كل مجموعة تشكل من حوالى ٧ – ١٠ دبابات (سرية دبابات) تطلق نيرانها من مسافة حوالى كيلومتر على موقع الصواريخ ثم تنتقل بسرعة إلى موقع آخر . واتضح من سير القتال أن العدو كان يستخدم حوالى كتيبة دبابات – ٣٠ دبابة – لتنفيذ هذه المهمة . وبذلك أصبح الموقف مائعاً حيث تعذر على قيادة الجيش الثانى تحديد حجم القوة المعادية وأماكن تمركزها . قررت القيادة العامة سرعة احتواء قوة العدو فى منطقة الدفرزوار ، ولذلك تحرك اللواء ٢٣ مدرع من شرق القاهرة ليتمركز على طريق مصر الاسماعيلية الصحراوى قريبا من منطقة الاختراق وعلى استعداد للدخول فى معركة ضد قوة دبابات العدو .

سد الثغرة من الشرق :

كان علينا فى القيادة العامة أن نقرر الطريقة التى تتبع لمواجهة الموقف فى قطاع الاختراق . فهناك ثغرة فى شرق القناة بمنطقة الدفرزوار تتدفق منها قوات العدو غربا ، وهناك قوة للعدو وصلت فعلاً إلى غرب القناة واشتبكت مع قواتنا .

وكان قرار القائد العام الذى اتخذه مساء يوم ١٦ فى هذا الموقف بعد بحثه بإمعان ، هو ضرورة سد الثغرة فى شرق القناة لمنع تدفق أى قوات معادية تالية وعزل القوة التى تعمل فى الغرب . وفى نفس الوقت يتم احتواء قوة العدو فى الغرب لتدميرها .

وفى يوم ١٧ ، وتنفيذاً لهذا القرار ، كانت قواتنا فى شرق القناة تقوم بسد ثغرة الدفرزوار . وكانت فكرة الخطة تقضى بأن تقوم الفرقة ٢١ مدرعة (الجيش الثانى) بدفع أحد لواءاتها فى اتجاه الجنوب ، وفى نفس الوقت يقوم الجيش الثالث بدفع اللواء ٢٥ مدرع فى اتجاه الشمال ، وبالتالى يمكن سد الثغرة من الشرق . وفى نفس

الوقت يقوم لواء من الفرقة ٢٣ ميكانيكية بالهجوم ضد قوة العدو التى عبرت إلى الغرب .

تعرض اللواء ٢٥ مدرع أثناء تقدمه شمالاً من قطاع الجيش الثالث شرق البحيرات لقصف جوى شديد وهجوم مضاد على جنبه الأيمن من مدرعات العدو ، الأمر الذى كبده خسائر كبيرة ، واضطر للتوقف ، وبالتالى لم يتم سد الثغرة من الشرق .

اضطر العدو ، لتأمين ثغرة الدفرزوار فى الشرق ، إلى إقحام فرقة آدان ضد الجنب الأيمن للجيش ودفعه لمسافة ٣ – ٤ كيلومترات شمالاً . ومن هنا تمكنت فرقة آدان من دفع وحدة الكبارى واسقاط كوبرى بالقناة تحت قصف مستمر من مدفعية الجيش الثانى . وأصبح للعدو – من فرقة شارون – كتيبتان من الدبابات وكتيبتان من المظلات محملة على عربات مجنزرة فى منطقة الدفرزوار غرب القناة .

ويقول ديان عن فرقة شارون ، بعد القتال الشديد الذى خاضته والخسائر الكبيرة التي تحملتها للوصول إلى الضفة الشرقية لتأمين منطقة إنشاء الكوبرى :

« لقد حاربت فرقته ببسالة وتكبدت أبشع الخسائر ، إذ استولى رجاله على رأس الجسر على الضفة الشرقية للقناة فى معركة مدرعات شرسة ، تعرضوا فيها جميعا لنيران العدو المهلكة المتواصلة ...

وفى هذه المعركة قتل أكثر من مائتى رجل . ففى لواء (....) قتل جميع قادة السرايا مرتين على التوالى . لقد قتل أولا القادة الأصليون ، ثم قتل بعد ذلك القادة الذين حلوا محلهم . أما القادة الحاليون فهم الصف الثالث فى غضون أيام قليلة » .

١٨ – ٢٠ أكتوبر :

واستمر القتال فى شرق وغرب القناة ، إلا أن القتال فى الغرب كان له الأسبقية الأولى . وبعد أن تمكن العدو من إنشاء كوبرى فى منطقة الدفرزوار ، ازداد تدفق قواته المدرعة غرباً ، وأصبح له المبادأة فى القتال .

اتجهت قوات شارون شمالاً فى اتجاه الاسماعيلية فى محاولة لدخول المدينة حتى يكون لذلك تأثيره السياسى الكبير ، وفى نفس الوقت تهديد مؤخرة قوات الجيش الثانى الذى كان يتولى قيادته فى ذلك الوقت اللواء عبد المنعم خليل . واجهت قوات

الجيش هذا الهجوم باللواء ١٥٠ مظلات وكتيبتين من الصاعقة واللواء ١٥ مدرع ، وأمكنها إيقاف تقدم فرقة شارون عند ترعة الاسماعيلية وحرمته من تحقيق هدفه السياسى العسكرى .

عبرت فرقة آدان المدرعة ليلة ١٨/١٧ ، وأصبحت جاهزة للتقدم من رأس الكوبرى جنوباً فى اتجاه السويس . واتجهت بعض القوات الإسرائيلية غرباً وجنوباً لتوسيع الثغرة فى غرب القناة مع التركيز لتدمير مواقع صواريخ الدفاع الجوى ، حتى يتاح للسلاح الجوى الإسرائيلى العمل بحرية غرب القناة .

ومنذ مساء هذا اليوم ، ونظراً لأن العدو أصبح لديه فرقتان مدرعتان غرب القناة ، كان لا بد أن تدور المعارك الرئيسية فى المنطقة غرب الدفرزوار . وكان لدينا فى الاحتياطى غرب القناة الفرقة ٤ المدرعة (عدا لواء مدرع موجود فى شرق القناة فى قطاع الجيش الثالث) والفرقة ٢٣ ميكانيكية وقوات المظلات والصاعقة واللواء ٢٣ مدرع .

تقرر حينئذ إعادة اللواء المدرع الموجود فى الشرق لينضم إلى فرقته الرابعة المدرعة ، وبذلك تصبح الفرقة مستكملة فى الغرب . أما فى قطاع الجيش الثانى ، فلم يكن من الممكن إعادة الفرقة ٢١ مدرعة إلى الغرب لتصبح فى الاحتياطى حيث أنها كانت مشتبكة فى القتال منذ يوم ١٤ فى الشرق . ومن هنا فقد أعيد اللواء ١٥ مدرع من قطاع القنطرة ليصبح ضمن احتياطى الجيش الثانى فى الغرب .

وخلال يومى ١٩ ، ٢٠ أكتوبر تقدمت قوات العدو المدرعة غرباً وجنوباً فى اتجاه فايد فى ظل تفوق جوى إسرائيلى . وقد بذلت قواتنا الجوية مجهوداً كبيراً خلال هذه الفترة الصعبة لحماية قوات الجيش بالتعاون مع الدفاع الجوى . وبلغ متوسط المجهود الجوى لقواتنا الجوية فى منطقة الثغرة ٣٣٠ طلعة طائرة / يوم خلال المدة من ١٥ – ١٨ أكتوبر ، وبمتوسط ٢٥٠ طلعة طائرة / يوم خلال المدة من ١٩ – ٢٢ أكتوبر ، وكان ذلك دوراً بارزاً لقواتنا الجوية التى استخدمت فيها كل أنواع الطائرات المتيسرة .

ونظراً للتفوق البرى والجوى الذى أصبح للعدو فى غرب القناة ، كما أن المبادأة أصبحت فى جانبه ، كان من الضرورى وضع الفرقة الرابعة المدرعة تحت القيادة

المباشرة للقيادة العامة حتى يمكن اسخدامها - باعتبارها القوة الرئيسية - إما فى قطاع الجيش الثانى أو الثالث غرب القناة حسب تطور الموقف .

وعلى ضوء هذه التطورات ، حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات . وبعد أن استمع إلى تقرير عن الموقف من الفريق أول إسماعل ، تقرر إيفاد الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى للعمل على منع تدهور الموقف ، وذلك باتخاذ الاجراءات للقضاء على قوة العدو فى غرب القناة ومحاولة قفل الثغرة فى شرق القناة ، وهى كلها فى قطاع الجيش الثانى .

كان الفريق الشاذلى فى قيادة الجيش الثانى بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر ، وكنت على اتصال مستمر معه لتبادل المعلومات والآراء . وبعد أن ألم بالموقف تماماً ، عاد مساء يوم ٢٠ أكتوبر بالرأى الذى يراه لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة ، وهو ضرورة سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو . وأن ذلك من وجهة نظره لا يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق ، كما كان يرى أن الموقف خطير ويجب طلب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه .

مؤتمر العمليات ليلة ٢١/٢٠ أكتوبر :

عندما حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٢٠ أكتوبر ، كان الفريق الشاذلى واللواء محمد حسنى مبارك واللواء محمد على فهمى وأنا واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية واللواء سعيد الماحى مدير المدفعية محتمعين فى غرفة المؤتمرات داخل مركز العمليات .

اجتمع الرئيس مع الفريق أول أحمد إسماعيل على انفراد لمدة حوالى ساعة قبل بدء المؤتمر . ومن الطبيعى أن يكون الوزير أحمد إسماعيل قد قدم للرئيس تقريراً عن الموقف ، ووجهة نظره ، ورأى الفريق الشاذلى ، وهما رأيان متعارضان لمواجهة هذا الموقف . وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هى أن الشاذلى كان يرى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب ، أما أحمد إسماعيل فكان يرفض ذلك .

دخل الرئيس ومعه الوزير أحمد إسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة

لشئون رئاسة الجمهورية غرفة المؤتمرات . طلب الرئيس رأى المجتمعين واحداً بعد الآخر .

بدأ مدير المخابرات الحربية بشرح موقف العدو ونواياه التى أبرز فيها أن العدو يهدف من معركته غرب القناة إلى احتلال مدينة الاسماعيلية أو السويس ، وهو ما يحقق له هدفاً سياسياً بالاضافة لتأثير ذلك على الموقف العسكرى لقواتنا .

وكنت أنا المتحدث الثانى ، حيث شرحت فى حديثى موقف قواتنا أبرزت فيه أن قواتنا فى شرق القناة قوية بالقدر الكافى الذى يجعل منها صخرة تتحطم عليها أى محاولات للعدو ضدها . ونظراً لأن الإنجاز العسكرى الكبير الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء ، لا يجب التنازل عنه أو تعريضه للخطر ، لذلك فإن المحافظة على قواتنا شرق القناة كما هى دون سحب أى قوات رئيسية منها أمر واجب . وكان رأيى أن سحب اللواءات المدرعة المصرية من الشرق إلى الغرب يترتب عليه اهتزاز دفاعات قواتنا فى الشرق الأمر الذى لا يمكن قبوله . فضلاً عن ذلك فإن التأثير المعنوى على القوات بعد سحب اللواءات المدرعة من الشرق يصبح شديداً بطريقة سلبية . وأتذكر أنى قدمت أعداد الأسلحة الرئيسية من الدبابات والمدفعية وأسلحة المشاة ، وبصفة خاصة كميات الذخيرة الموجودة فى الشرق موضحاً أنها تكفى لتحقيق مهمة الاحتفاظ بمواقع قواتنا فى سيناء بكفاءة .

وبعد أن استمع الرئيس لرأى باقى القادة ، لاحظت أن الفريق الشاذلى لم يتكلم . وقرر الرئيس « عدم سحب أى قوات من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب » .

ويفسر الشاذلى الموقف الذى اتخذه بعدم إبداء رأيه فى المؤتمر – كما جاء فى مذكراته – فيقول :

" ... طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحداً بعد الآخر . وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة . وبعد أن استمع إليهم جميعاً لم يطلب منى الكلمة ، وعلق قائلاً : « لن نقوم بسحب أى جندى من الشرق » ، لم أتكلم ولم أعلق . غمزنى المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس فى أذنى « قل شيئاً » ولكننى تجاهلت نصيحته . ماذا أتكلم وقد اتخذ الرئيس القرار ولا يريد أن يسمعنى . إننى أريد أن أسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق ، وهو يعارض سحب جندى واحد . إنه لم يتخذ

هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف ... إنه يعرف الحقائق كلها عن الموقف وهذا هو قراره " .

□ □ □

فى مثل هذا الموقف المعقد الذى كانت تواجهه قواتنا تتعدد الآراء وتتباين وجهات النظر . وعندما يتخذ القائد العام – وأى قائد فى مستوى أقل – قراره ، فلا بد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ . لقد عاصرت الفريق الشاذلى خلال الحرب ، وقام بزيارة الجبهة أكثر من مرة ، وكان بين القوات فى سيناء فى بعض هذه الزيارات . وأقرر أنه عندما عاد من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهاراً ، كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته (البحث عن الذات – ص ٣٤٨) بعد الحرب . لا أقول ذلك دفاعاً عن الفريق الشاذلى لهدف أو مصلحة ، ولا مضاداً للرئيس السادات لهدف أو مصلحة ، ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ . لقد كان هناك خلاف فى فكر رئيس الأركان وفكر القائد العام على الطريقة التى نواجه بها موقفاً عسكرياً أمامنا ، وهذا واجب وحق لكل مسئول فى جهاز القيادة أن يبدى رأيه واقتراحه فى الموقف . ولكن القرار فى النهاية الذى يتحتم على الجميع الالتزام به هو قرار القائد العام المسئول عن إدارة العمليات .

لقد التزمت القياده العامة بالقرار الذى اتخذه القائد العام مؤيداً بقرار من القائد الأعلى للقوات المسلحة فى هذا الموقف . وما زلت أقول حتى اليوم أن هذا القرار – من وجهة نظرى – كان صحيحاً وسليماً لمواجهة الموقف الذى كان يواجهنا .

وعندما انتهى الاجتماع ، غادر الرئيس السادات مركز العمليات دون أن يبين لنا أنه يفكر فى الموافقة على وقف إطلاق النار ، بعد أن تكرر رفضه له أكثر من مرة خلال الحرب .